فلا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث
الباطن الا المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج
القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة
وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وثبت هذا
بقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها بدون هذا الشرط فحديث اخر وقد اشرنا
الى معناه في كتاب الصلوة
ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب
بها والعجب من المهلكات وهو محبطة للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى
وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف
ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري
في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير
وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف
يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له هذا المال
والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه اياه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله
ما هو عين حق الله سبحانه وتعالى وان كان مقامه يقتضي ان ينتظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب
فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله
بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة
فيمسك بعضها ويرد بعضها لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله تعالى وانما لم
يؤمر به عنده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا
ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واحله واطيبه فان الله
طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له طلقا فلا يقع الموقع وفي
حديث ابان عن انس رضي الله عنه طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم
يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لاهله او لعبده
فيكون قد اثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه طعاما اردى ما في بيته ولا غر به
صدره هذا ان كان نظره الى الله تعالى وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل
من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي
ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار للاخرة
وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية
وحياء وهو

 وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرج الانسان
وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره
من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله قوما جعلوا لله ما يكرهون قال الله
تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي
تكذيبا لهم ثم ابتداء وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار
ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي ان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوص
صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة
ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا
المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا
لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا في طاعته باعانتك اياه قال صلى الله عليه وسلم اطعموا
طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه في الله تعالى وكان
بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان
افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد
همة احدهم الى الله احب الي من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه
وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وما سمعت كلاما منذ زمان احسن من هذا ثم ذكر ان هذا الرجل
اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان
التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه
ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية
وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل
من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم
افضل
الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد
الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي
وصية لقمان لابنه يا بني لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله
فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور ومسخر بتسخير الله اذ قد سلط الله عليه
دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله
في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض
القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها و
مزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له
نظر الا الى مسبب الاسباب ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فان ذلك حركة
اللسان في الاكثر جدواها واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير
فسيذم بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث معروفا
الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول وكان اسمه جديرا فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره
بالمنع ويدعو بالشر

Copyright © King Saud University